مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ٣:٩–١٧)

يا إخوةُ إنَّا نحنُ عاملونَ معَ اللهِ وأنتم حَرْثُ اللهِ وبناءُ الله* أنا بحسَبِ نعمةِ اللهِ المُعطاةِ لي كبنَّاءٍ حكيمٍ وضَعتُ الأساسَ وآخرُ يبني عليه. فلينظُرْ كلُّ واحدٍ كيف يبني عليه* إذ لا يستطيعُ أحدٌ أن يضعَ أساساً غيرَ الموضوعِ وهوَ يسوعُ المسيح* فإنْ كانَ أحدٌ يبني على هذا الأساسِ ذهباً أو فِضَّةً أو حِجارةً ثمينةً أو خشباً أو حشيشاً أو تبناً* فإنَّ عملَ كلِّ واحدٍ سيكونُ بيِّناً لأنَّ يومَ الربِّ سيُظهِرُه لأنَّه يُعلَنُ بالنارِ وستَمتَحِنُ النارُ عملَ كلِّ واحدٍ ما هو* فمن بقِيَ عملُهُ الذي بناهُ على الأساسِ فسينالُ أجرةً* ومن احترقَ عملُهُ فسيخسرُ وسيخلُصُ هو ولكن كمن يمرُّ في النار* أمَا تعلمون أنَّكم هيكلُ اللهِ وأنَّ روحَ اللهِ ساكنٌ فيكم* من يُفسِدُ هيكلَ اللهِ يُفسِدهُ اللهُ لأنَّ هيكلَ اللهِ مُقدَّسٌ وهو أنتم.

الشهداء المكابيون السبعة وأمهم

تضمّ أسفار العهد القديم في صيغتها الموسّعة عدداً من الكتب التي لا نعثر عليها في طبعة الكتاب المقدّس العربية ذات المنشأ الإنجيلي، مثل كتاب حكمة سليمان وكتاب حكمة يشوع بن سيراخ وسفري المكابيّين. وفيما رفض اليهود هذه الكتب ولم يقبلوا اعتبارها جزءاً من أسفارهم القانونيّة، استشهد بها معظم آباء الكنيسة واقتبسوا منها مولين إيّاها أهميّة كبرى، وذلك رغم عدم وضوح بعضهم في مدى قانونيّتها. فالقديس أثناسيوس الكبير، مثلاً، لا يقول صراحة بأنّها معادلة للأسفار الأخرى لكنه ينصح بقراءتها لما فيها من فائدة روحية وتربويّة بالنسبة إلى المسيحيين.

الثابت في الكنيسة الأرثوذكسية أنّ بعض هذه الكتب، مثل حكمة سليمان، دخل الليتورجيا ككتاب قانوني. ونجد في صلاة الغروب على مدار السنة قراءات كثيرة رفيعة المعاني من كتاب حكمة سليمان، أمّا صلاة منسّى ملك اليهودية، التي تنتمي أيضاً إلى هذه المجموعة من النصوص، فأضحت جزءاً لا يتجزّأ من صلاة النوم الكبرى التي نحتفل بها في الصوم الكبير.

من هذه الكتب، سفرا المكابيين الأول والثاني. وقد كُتبا باليونانيّة، لا بالعبرية، ذلك أنّهما يرويان مجموعة من الأحداث عن تاريخ الشعب اليهوديّ في الحقبة الهلّينستيّة، أي الحقبة التي تلت حملات الإسكندر الكبير على الشرق (٣٣٣ قبل الميلاد). وقد كانت فلسطين، آنذاك، تابعةً للسلالة السلوقية، نسبةً إلى سلوقس نيكاتور، أحد قادة الإسكندر وورثته. ويتناول الكتابان خصوصاً محاولة الملك اليوناني أنطيوخوس الرابع إبيفانس (١٧٥–١٦٤) تدنيس الهيكل اليهودي عبر استقدامه إلى هذا الهيكل تمثال زوس، أكبر آلهة اليونان (١ مك ١:٥٤)، وضغطه على اليهود ليتنجّسوا عبر تخلّيهم عن الختان وأكلهم الخنزير واتّباع ما سوى ذلك من ممارسات تتعارض مع دين آبائهم. وقد استتبعت هذه الأحداث ثورة المدعو يهوذا المكابيّ مع إخوته التي أسفرت عن استعادة الحكم الذاتي في اليهودية وإعادة تطهير هيكل أورشليم.

في سياق الاضطهاد الذي شنّه الملك

العدد ٢٠٠٤/٣١

الأحد ١ آب

تزييح الصليب الكريم المحيي

وتذكار القديسين السبعة الفتية

المكابيين وأمهم سلموني

ومعلّمهم العازر

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر التاسع

الإنجيل

(متى ١٤: ٢٢–٣٤)

في ذلك الزمان اضطَرَّ يسوعُ تلاميذَهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبِقوهُ إلى العَبْر حتى يصرِفَ الجموعَ* ولمَّا صرفَ الجموعَ صعدَ وحدَهُ إلى الجبلِ ليصلّي. ولمَّا كان المساءُ كان هناك وحدَهُ* وكانتِ السفينةُ في وسَط البحر تكُدُّها الأمواجُ لأنَّ الريحَ كانت مُضادَّةً لها* وعند الهجعةِ الرابعةِ من الليل مضى إليهم ماشياً على البحر* فلمَّا رآهُ التلاميذُ ماشياً على البحر اضطربوا وقالوا إنَّهُ خَيالٌ ومن الخوفِ صرخوا* فللوقتِ كلَّمهم يسوعُ قائلاً ثِقوا أنا هو لا تخافوا* فأجابهُ بطرسُ قائلاً يا ربُّ إنْ كنتَ أنتَ هو فمُرْني أن آتي إليك على المياه* فقالَ تعالَ. فنزل بطرسُ من السفينة ومشى على المياه آتياً إلى يسوع* فلمَّا رأى شِدَّةَ الريحِ خافَ وإذْ بدأَ يغرَقُ صاحَ قائلاً يا ربُّ نجّني* وللوقتِ مدَّ يسوعُ يدهُ وأمسكَ بهِ وقال لهُ يا قليلَ الإيمان لماذا شككتَ* ولمَّا دخلا السفينةَ سكنَتِ الريحُ* فجاءَ الذين كانوا في السفينةِ وسجدوا لهُ قائلين بالحقيقةِ أنت ابنُ الله* ولمَّا عبَروا جاءوا إلى أرض جَنيسارَتْ.

أنطيوخوس الرابع إبيفانس على الشعب اليهودي،يضع سفر المكابيين الثاني قصة الإخوة الشهداء السبعة مع أمهم (٢ مك ٧: ١–٤١) الذين تعيّد لهم الكنيسة المقدّسة في الأول من شهر آب. وفيما لا يذكر كتاب المكابيين أيّة أسماء لشخصيات القصة، فإنّ تقليد الكنيسة خلع على الأم اسم سلمونة، وقد تحوّل هذا اللفظ بالسريانية إلى «أشمونة» أو «شمونة»، بينما بقيت أسماء الفتيان السبعة القديسين مجهولة. طبعاً، توحي قصة الفتية المكابيين، كما وردت في الكتاب المقدس، بأنّ الحادثة جرت في اليهودية. غير أنّ تقليد كنيستنا ربطها بمدينة أنطاكية، لكون الملك أنطيوخوس الرابع كان مقيماً في هذه المدينة عندما شنّ حملته الشعواء على هيكل أورشليم واليهودية. ولعلّ هذا ما يفسّر، إلى حدّ كبير، شغف المسيحيين الانطاكيين بالفتية السبعة وأمهم وما كانوا يكنّونه لهم من احترام وإجلال، بحيث نجد القديس يوحنا الذهبي الفم يلقي فيهم، حوالى العام ٣٩٠، عظة معلناً وجود ذخائرهم على مقربة من أنطاكية.

تتّسم قصة الفتية المكابيين السبعة وأمّهم بالطابع التصاعديّ الذي يميّز قصصاً من هذا النوع في الكتاب المقدّس. فالقصة تتوقف على شيء من التفصيل عند موت الفتى الأول حرقاً وتمر بسرعة نسبيّة على موت الثاني حتى السادس لتعود وتتوقّف مطوّلاً عند موت السابع الذي بذل الملك جهوداً خاصةً في محاولة ثنيه عن اتّباع مسلك أخوته طالباً من أمه أن تتدخل. فإذا بالأم، بعكس توقعات الملك، تستنهض ابنها السابع على الاستشهاد في سبيل إيمان آبائه على غرار إخوته الستة محرّضة إيّاه على ألا يأبه بالخوف من الملك والنار. وتشير القصة، أخيراً، إلى موت الأم بعد بنيها (٢مك ٧:٤٠)، ما يدل على أنّها استُشهدت بدورها. بيد أنّه لا يمكن الجزم بهذا الرأي انطلاقاً من النص ذاته الذي يتكتّم على كيفيّة موت الأم. والملاحظ أنّ قصة استشهاد الفتية المكابيين تشتمل على عناصر عقائدية مهمّة. فهي تنطوي على إيمان صريح بقيامة الأجساد (٢ مك ٧: ٩–١٠)، فضلاً عن الإشارة الفريدة من نوعها في العهد القديم إلى أنّ الله خلق السماء والأرض والجنس البشري من العدم (٢مك ٢٨:٧). ولعلّ هذه اللفظة (حرفياً: من اللا موجود) تعكس تأثراً بالمصطلح الفلسفي اليوناني الذي غدا اليهود على تماس مباشر معه بعد حملات الإسكندر الكبير.

من أنطاكية، انتشر إكرام الفتية المكابيين السبعة وأمهم في العالم المسيحي أجمع. ويذكر المغبوط أوغسطينوس (٣٥٤–٤٣٠)، الذي عاش في قرطاجة، كنيسة القديسين المكابيين في أنطاكية، ما يدل على أن هؤلاء باتوا معروفين في الغرب المسيحي بعد العظة التي ألقاها فيهم الذهبي الفم بزمان يسير. وثمّة معلومات تقول إنّ ذخائرهم نُقلت إلى ميلانو في إيطاليا وكولونيا في ألمانيا، ربما خلال الحملات الصليبية على الشرق،وشُيّدت كنائس تحمل اسمهم في روما وليون وفيينا. وباتت كنائس الغرب تُعيّد لهم أيضاً في الأول من آب مقتفيةً بذلك خطى الكنيسة الشرقية. أمّا في الكنيسة الإنطاكية فإنّ إكرام الفتية السبعة المكابيين وأمهم بقي حاضراً بقوّة لا لدى الروم فحسب، بل لدى الموارنة والسريان اللاخلقيدونيين أيضاً. ونعثر في الجبل اللبناني على عدد من الكنائس والمزارات المكرّسة على اسم القديسة «شمونة» وأبنائها السبعة.

تأمل

يحيا روح النعمة في المسيحيين منذ وقت المعمودية والمسحة. أليست المشاركة في سرّي التوبة والمناولة من أجل نيل أوفر فيض من النعمة؟

من المناسب أن تقول لأولئك الذين نالوا - سلفاً - الروح القدس: «لا تطفئوا الروح» (١ تسا٥: ١٩). لكن كيف يمكن للمرء أن يقول لمثل هؤلاء الناس: «أمتلئوا بالروح» (أف ٥:١٨)؟

تُعطى نعمة الروح القدس حقاً لكل المسيحيين، لأن هذه هي قوة الإيمان المسيحي. لكن الروح القدس الذي في المسيحيين لا يتمّ خلاصهم من نفسه، إنما يعمل سويةً مع الأعمال الحرة لكل إنسان. بهذا المعنى يمكن للمسيحي أن يزعج أو يخمد الروح، أو قد يسهم أيضاً في التجلي المحسوس لعمل الروح القدس فيه.عندما يحدث هذا يشعر المسيحي نفسه أنه في حالة فائقة الطبيعة تعبّر عن نفسها بفرح عميق وحلو وهادئ، ويرتفع أحياناً إلى ابتهاج النفس: هذا هو السرور الروحي. يقول الرسول:علينا ألا نطلب نشوة الخمرة - معاكساً إياها مع السكر بالخمرة - وإنما السرور الذي يدعوه «الامتلاء بالروح». لذلك فوصيته «أن نمتلئ بالروح»

العظة على الجبل: الملح والنور

«ليكُنْ كلامُكُم كلَّ حين بنعمةٍ مُصْلَحاً بمِلْحٍ لِتعلَموا كيفَ يَجبُ أن تُجاوِبوا كُلَّ واحدٍ» (كو ٤:٦).

بعد افتتاح العظة على الجبل بسلسلة التطويبات يتوجه إلينا الرب يسوع من خلال تلاميذه بالقول: «أنتم مِلحُ الأرض... أنتُم نورُ العالم...» (متى ٥: ١٣-١٦). يرتدي هذا المقطع أهميَّة كبرى نظراً لما يحمل الملح والنور من معانٍ، ونظراً لأهميتهما في حياتنا اليومية.

يرد ذكر الملح كثيراً في الكتاب المقدس. فهو يعطي النكهة للطعام: «أيؤكَلُ الطعامُ التافِهُ بلا ملح»؟ (أيوب ٦:٦). وبه طهّر النبي أليشع مياه أرض أريحا الرديئة لتصبح صالحة للشرب والزراعة: «فخرجَ (أليشع) إلى نبعِ الماءِ وطَرحَ فيهِ الملحَ وقالَ هكذا قالَ الرَّبُّ قد أبرأتُ هذه المياه لا يكونُ فيها أيضاً موتٌ ولا جدبٌ، فبرئَتِ المياهُ» (٢ ملوك ٢: ٢١ و٢٢). كما ان الملح كان يُستعمل قديماً لحفظ الأطعمة واللحوم والأسماك. إضافة إلى ذلك فإن القرابين والتقدمات التي أوصى الله موسى ليقدمها على المذبح، يجب أن تملّح بالملح دلالة على العلاقة غير المحلولة، غير المنفكة، بين الله وشعبه: «وكلُّ قربانٍ من تقادِمِكَ بالملحِ تُملِّحُهُ ولا تُخْلِ تقدِمتكَ من مِلحِ عهدِ إلهك، على جميعِ قرابينِكَ تُقرِّبُ مِلحاً» (لاويين ٢:١٣).

استناداً إلى هذه المعاني التي يحملها الملح، فإن عبارة «أنتم ملح الأرض» تعني ان كل تلميذ للرب يسوع وحامل لبشارته هو كالملح في الطعام يعطي نكهة للعالم، أو نكهة لمعنى وجودنا كبشر في هذا الكون. هذه البشارة تطهرنا من خطايانا وتحفظنا لحياة أبدية. التلاميذ هم أيضاً علامة العهد بين الله وشعبه، إذ هم الذين يضمنون أن تنتقل بشارة يسوع من جيل إلى جيل.

كيف يكون التلميذ ملح الأرض؟ يقول القديس يوحنا الذهبي الفم ان عليه أن يكون رحيماً ومتواضعاً وباراً وجائعاً وعطشاناً إلى البر. فإن الرب بقوله «أنتم ملح الأرض» يدل على ان كل الطبيعة البشرية قد فقدت مذاقها وانفسدت بخطاياها. لذا يطلب من تلاميذه فضائل كهذه نافعة وبالغة الضرورة لإدارة الطبيعة العامة. فالوديع والكريم الرحيم والبار لن يغلق مآثره الصالحة على نفسه فقط، بل يؤمن أيضاً أن تطفح هذه الينابيع الصالحة لمنفعة الآخرين. والطاهر القلب وصانعُ السلام والمضطهَّد من أجل الحق ينظم طريقة حياته للخير العام.

يبقى الموقف الأصعب الذي يطرحه الرب في كلامه، أي «إن فسدَ الملحُ فبماذا يُملَّحُ» (متى ١٣:٥). كل منتوج الأرض معرَّض للفساد والإهتراء، ما عدا الملح الذي لا يهترئ أو يعفن أو يفسد. إذاً كلام الرب عن فساد الملح هو للقول بأن البشارة والتلمذة للرب يسوع لن يتوقفا ولن يفسدا، وأن كل من يقبل كلمة الرب لن يصبه الفساد إلى الأبد.

«أنتم نورُ العالم» (متى ١٤:٥). تلاميذ المسيح هم نورٌ للعالم وليس لأمة واحدة أو شعب واحد. هم منارة ونور للعالم بمقدار ما يعكسون نور المسيح الذي قال «أنا هو نور العالم» (يو ١٢:٨.) التلميذ الصالح يعكس نور المسيح بمقدار ما يحيا وصايا المسيح، بمقدار ما

هي ببساطة أن نسلك ونتصرف بطريقة معينة بحيث نتعاون مع الروح القدس أو نسمح بمجال حر له، بحيث نجعل الروح القدس يُظهر نفسه بملامسة القلب بصورة قابلة للإدراك.

نجد في كتابات رجال الله الذين تشرّفوا بنعمة الروح وعاشوا على الدوام تحت تأثيرها أنه يوجد أمران ضروريان على وجه الخصوص إذا أراد الإنسان تحقيق هذا: يجب عليه أن ينظّف قلبه من الأهواء، وأن يلتفت نحو الله في الصلاة. ولقد شدّد الرسول بولس على هذين الأمرين، كما يفعل القديس يوحنا الذهبي الفم. يقول: إن الصلاة تسمح للروح القدس أن يعمل بحرية على القلب: «إن الذين يرتلون المزامير يملأون أنفسهم بالروح القدس». ويتكلم، فيما بعد، عن التطهير من الأهواء الذي يؤول إلى النهاية نفسها. يتساءل: «هل في وسعنا أن نمتلئ من الروح»؟ «نعم، عندما نطهّر أنفسنا من الكذب والقساوة والزنا والنجاسة والجشع، عندما نصير ودعاء القلوب، ورحماء ومؤدّبين ذواتنا، عندما نصبح مستحقين لها، عندئذ ما الذي سيمنع الروح القدس من الاقتراب منا والاضطرام فينا؟ إنه لن يقترب فقط، بل سيملأ قلبنا».

القديس ثيوفانس الحبيس

يكون رحيماً ووديعاً وصانعاً للسلام ومضطَهَداً من أجل البر وباراً وساعياً وراء البر. عندما يحيا الإنسان بحسب ناموس محبة الرب سوف يشع نوراً لغيره ولا يستطيع شيء أن يحجب هذا النور. لذا يقول الرب «لا يمكنُ أن تُخفى مدينةٌ موضوعةٌ على جبل. ولا يوقِدون سِراجاً ويضعونَهُ تحتَ المكيالِ بل على المنارةِ فيُضيءُ لجميعِ الذينَ في البيت» (متى ٥: ١٤–١٥). يصبح التلميذ نوراً يسترشد به كل من يسير في الظلمة: ينير درب الآخرين نحو يسوع.

«فيضيء لجميع الذين في البيت»: التلميذ الحق يكون منارة لأهل بيته قبل أن يكون منارة لمن هم في الخارج. أي على المسيحيين أن يرتبوا أوضاع كنيستهم من الداخل لكي يكونوا نوراً لمن هم في الخارج ويرشدوهم إلى المسيح. يجب أن يضيء النور من الداخل إلى الخارج.

المهم في الأخير ان أعمالك الحسنة هي مصباحك المنير الذي يجب أن يقود الجميع لكي «يمجِّدوا أباكم الذي في السموات» (متى ٥:١٦).

يعلّق القديس الذهبي الفم على هذا المقطع فيقول: «ان السيد يقول: حقاً انني أشعلت النور، إلا ان استمراره في التوهج يأتي من اجتهادكم. أظهروا إذاً حياة مستحقة لنعمته حتى يرافقكم هذا النور... لن تصلحوا العالم فقط إن عشتم باستقامة بل ستُعطون الفرصة أيضاً ليتمجَّد الله، وعندما تفعلون العكس مع الناس تسببون التجديف على اسم الله».

لنتذكر مَثَل العذارى العشر (متى ٢٥:١–١٣) ان العذارى العاقلات دخلن الملكوت لأن مصابيحهن كانت مليئة بزيت الأعمال الصالحة، والعذارى الجاهلات لم يدخلن الملكوت رغم أنهن لم يرتكبن الخطايا، لكن هذا لا يكفي. يجب أن يتزود الإنسان بالأعمال الصالحة ليدخل إلى الملكوت.

صوم السيدة

في إطار التهيئة لعيد رقاد والدة الإله العذراء في ١٥ آب ٢٠٠٤ نبتدئ في الأول من آب صوماً لمدة خمسة عشر يوماً نمتنع خلاله عن أكل الحليب ومشتقاته واللحم والسمك والدجاج والبيض. كذلك تُقام طيلة فترة الصوم، مساء كل يوم، خدمة صلاة البراكليسي (التضرُّع لوالدة الإله) في كافة كنائس الأبرشية.

عيد التجلي

بمناسبة عيد تجلّي الرب يسوع على جبل ثابور وبمناسبة الذكرى المئوية الأولى لبناء كنيسة دير القديس جاورجيوس في سوق الغرب يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٦ آب ٢٠٠٤ في كنيسة القديس جاورجيوس في سوق الغرب.

وللمناسبة تدعو جمعية حاملات الطيب الخيرية في سوق الغرب كافة المؤمنين إلى زيارة المعرض السنوي الذي يُقام في بيت الرعية أيام الجمعة والسبت والأحد في ٦و٧و٨ آب ٢٠٠٤، من العاشرة صباحاً حتى الثامنة مساءً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb